

## الافتراق وأثاره على الأمة

د. عثمان علي حسن

(\*)

### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

الافتراق من آثار الاختلاف ونتائجه وليس من لوازمه، أي يمكن للناس أن يختلفوا مع اجتماع الكلمة وحصول الألفة. وقد اختلف خيار الصحابة في كثير من المسائل العلمية والعملية ولم ينحل عقد الأخوة، ولم ينصرم حبل المودة بينهم، فكان الاختلاف توسعة ورحمة وتنوعاً وإثراء.

قال ابن القيم رحمه الله: "ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف؛ فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحداً، والغاية المطلوبة واحدة، والطريق المسلوكة

(\*) أستاذ العقيدة المشارك، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

واحدة، لم يكد يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافا لا يضر، كما تقدم من اختلاف الصحابة، فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله، والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله، والطريق واحد وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة<sup>(1)</sup>.

والافتراق حالة مَرَضِيَّة كانت في الأمم قبلنا، وهو صفة بارزة في اليهود والنصارى، وقد حُذِرنا أن نكون مثلهم: قال تعالى: ﴿لَاكُفْرًا وَلَا كُفْرًا كَالَّذِينَ تَقَرَّبُوا إِلَهُمْ غَيْرَ تِلْفُوا﴾ من بعد مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>(2)</sup>، لكن استفاد متأخروهم من دروس سابقهم، حتى سعى أبابا الفاتيكان لبييرئ اليهود من جريمتهم التاريخية في سفك دم المسيح (على حد زعمهم)، هذه العقيدة التي تطاولت عليها القرون، وتعاقبت عليها أجيال النصارى، يراد لها ألا تكون عائقاً دون الالتقاء والتعاون، ونحن نملك من أسباب الالتقاء والتعاون والتنسيق ما لا يملكه غيرنا، ونواجه من دواعي ذلك ومبرراته وأسبابه ما يحتم علينا اجتماع الكلمة واتحاد الموقف وتراص الصفوف.

تناسوا اختلافاتهم الدينية والمذهبية والعرقية في سبيل الرقي بمجتمعاتهم؛ فهل نعتبر من تاريخنا أو تاريخهم؟ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(1) الصواعق المرسله 2 / 519.

(2) سورة آل عمران الآية: 105.

كَفَرُوا وَابْعَدُوهُمْ وَأُولِيَاعِبَعَضِ إِيَّاكَعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ<sup>(1)</sup>.

وهذه الورقة تركز على بيان عناية الإسلام باجتماع الكلمة ووحدة الصف واعتصام الأمة ببعضها ببعض، على أنه من مصادر القوة الحقيقية لديها، بعد إيمانها بالله تعالى وتوكلها عليه، وفي ذات الصدد تبين الورقة نهى الإسلام المشدد عن التفرق وأسبابه على أنه المهدد لذلك الأصل، والمشنت لتلك القوة، والمحرك لأطماع الأعداء في النيل من الأمة واستلاب مقدراتها، ثم تدلف الورقة إلى بيان الآثار الواقعية لهذا التمزق وذلك التشتت، والتي ترسم صورة مفزعة لمستقبل الأمة، تدعو المخلصين إلى العمل الدؤوب لتجنبها حتى لا تقع الأمة فيها، أو إلى معالجة أسبابها حتى تتعافى الأمة من آثارها. ثم تجيب الورقة على سؤال يثير الشكوك وهو: هل الافتراق قدر لازم لا يمكن تجنبه، ولا الخلوص منه؟!!

سائلا الله تعالى التوفيق والتسديد، وصلى الله علي نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(1) سورة الأنفال الآية: 73.

## المطلب الأول

### الاجتماع ودواعيه

الأصل في الإسلام وأهله الاجتماع لا الافتراق، والتعاون لا التصارع، والتآخي لا التعادي، والاتحاد والترابط لا التشتت والتباعد، هذا ما أمر به الإسلام أهله المنتسبين إليه، المتمسكين به.. فلا يوجد دين ولا مذهب دعا إلى هذه الأمور وعُني بها وحرص عليها كما هو الحال عليه في الإسلام..

فشرع الإسلام من مناهج التوحيد وشعائر التعبد وشرائع التكافل الاجتماعي ما يعين على تحقيق الوحدة وتعميقها؛ فهناك التذكير بأن أصل الخلقة واحد، من نفس واحدة، فلا تباين ولا تنافس إلا بالتقوى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ كَرٍ وَأَنْ نُنَجِّيَ كَلَّ تَأْكُمُ مِّنْ دُونِكُمْ وَأَوْ قَبَائِلٍ لِّتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(1)</sup>.

والمعبود واحد، فلا يعلو بعضهم على بعض، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ولهذا كانت كلمة التوحيد أعظم كلمة يمكن أن توحد بين الناس، وجاء في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم أيام التشريق:

(1) سورة الحجرات الآية: 13.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ "أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَبَالِكُنْمُ وَوَأِحَدُ أَلَا لَا فَضَّلَ لِعَرَبِيٍّ  
لَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ  
عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى" (1).

والقبلة واحدة، فما أجمله من مشهد! حين ترى الناس يتجهون إلى  
الكعبة المشرفة في دوائر متوالية، تتسع وتنداح لتشمل سطح الأرض، لا  
يفرق بينهم جنس ولا لون ولا نوع ولا مرتبة، الجميع يؤدون الحركات  
نفسها من قيام وركوع وسجود، في خشوع وخضوع، وهم أيضا خلف  
إمام واحد، وربما كان دونهم في الحسب والمال، يأتون به، ولا  
يتجاوزنه في حركة ولا سكونة.

والمرجعية واحدة؛ حيث يحتكم المسلمون جميعاً إلى الكتاب  
والسنة، وهذا من شأن أهل الإيمان. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا  
اللَّهَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَعُدُّوهُ إِلَى  
اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ أَحْسَنُ  
تَأْوِيلًا﴾ (2).

وهناك كفالة اليتيم، وإغاثة الملهوف، ورعاية الأرملة والمسكين؛  
وذلك لسد الثغرات الاجتماعية التي تحدث عادة التفرق والصراع بين  
طبقات المجتمع، فعني بها الإسلام على سبيل الوجوب والندب، بل في

(1) مسند الإمام أحمد 474 / 38 حديث رقم: 23489.

(2) سورة النساء الآية: 59.



الالتزام بها مع المؤمنين؛ فقال: فَلِمَ رَأَى مَتِّمِنًا لِلَّهِ لَئِن لَّهْمُ لَوْ كُنْتُمْ تَقْظَاءَ غَلِيظًا قَلْبًا لَنَفَضْتُمْ أَمْرًا مِنْ دَوْلِكَ قَاعًا عَنِّيهِمْ اسْتَغْفِرُ لَهُمْ تَسَاوُرًا هُمْ فِي الْأَمْرِ قَابِلُونَ مَتَّقُوا كَلَّ عَالِيهِ إِرَالَهُ يُحَلِّبُكُمْ تَوَكَّلِينَ<sup>(1)</sup>، ويعظم الأمر إذا كان موجهاً للنبي وهو المعصوم المسدد، فكيف بغيره؟! ومن فوائد الشورى أنها تتيح للأراء كلها أن تظهر في تودة وهدوء، مع الاحتفاظ لأصحابها بالاحترام والتقدير، وإلا تحولت إلى بؤر احتقان تحت السطح توشك أن تنفجر عن تفرق وصراع يؤدي بلحمة الأمة وتماسكها.

وفي مقابل ذلك كان النهي عن العصبية باسم الجنس أو النوع أو الوطن أو القبيلة أو اللون، وجعل ذلك من شأن الجاهلية الأولى التي جاء الإسلام لإلغائها، وإلغاء مقاييسها في التفاضل والتنافس قال "رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَّ قَدْرُهُ أَذْهَبَ عَنكُمْ عِبِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ هَابِ الْأَبَاءِ مُؤْمِرًا بِرَبِّهِمْ وَفَاجِرٌ شَدَقِي أَنْتُمْ بِذُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ نُرَابٍ لَيْدَعَنَ فَخَرَهُمْ بِرَأْفَتِهِمْ مِنْ قَدَمٍ مِنْ قَدَمٍ جَهَنَّمَ أَوْ لَيْكُونَنَّ أَهْوَانَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلَانِ الَّتِي تُبْدِلُ فِيهَا الذَّنَّ" <sup>(2)</sup>.

## المطلب الثاني

### النهي عن التفرق

(1) سورة آل عمران الآية: 159.

(2) سنن أبي داود 492/4 باب في التباخر بالأحساب حديث رقم: 5118، ومسند الإمام أحمد 14/349 حديث رقم: 7836.

جاءت النصوص الشرعية بالنهي عن الاختلاف والافتراق، كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي جَاءْتُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ وَيُذَكِّرُ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ يَوْمًا إِذْ يَقُولُ أَفَلَمْ يَأْتِكُمْ نُبُوءٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَتُؤْتُوا الْأَمْثَالَ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تُعْرَفُونَ ﴿١٠٥﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٠٧﴾ وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الْوَعْدَ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٠٨﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٠٩﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٨﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٩﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٢٠﴾

جاء في تفسير الطبري عند تفسير هذه الآيات عن زيد بن أسلم، أنه قال: شأسُ بن قيس - وكان شيخاً قد عَسَا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاضه ما رأى من جماعتهم وإفقتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمعوا بني قيلة<sup>(2)</sup> بهذه البلاد! لا والله ما لنا معهم - إذا اجتمع ملؤهم بها - من قرارٍ لأمر فتى شائباً من يهود وكان معه، فقال: اعمد إليهم،

(1) سورة آل عمران الآيات: 100-105.

(2) بنو قيلة هم الأنصار بشقيهم الأوس والخزرج.

فاجلس معهم، وذَكَرَهم يَوْمَ بُعِثَ وما كان قبله، وأنشدُهم بعض ما كانوا  
تقاوَلوا فيه من الأشعار - وكان يوم بُعِثَ يوماً اقتتلت فيه الأوس  
والخزرج، وكان الظفرُ فيه للأوس على الخزرج ففعل. فتكلم القوم عند  
ذلك فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواتب رجلان من الحَيِّين على الرُّكَب:  
أوسُ بن قَيْظي، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجَبَّار بن  
صخر، أحد بني سَلَمَة من الخزرج. فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن  
سئتم والله رَدَدْنَاها الآن جَذَعَةً! وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا،  
السلاحَ السلاحَ!! موعِدُكم الظاهرة - والظاهرة: الحَرَّة - فخرجوا إليها.  
وتجاوز الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها  
إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسولَ  
الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من  
أصحابه حتى جاءهم، فقال: يا معشرَ المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية  
وأنا بين أظهركم بعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به  
عنكم أمرَ الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّفَ به بينكم، ترجعون إلى  
ما كنتم عليه كفاراً؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيدٌ من  
عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانقَ الرجال من الأوس  
والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدوِّ الله شدَّاس بن قيس وما صنع.  
فأنزل الله في شدَّاس بن قيس وما صنع: **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ**  
**بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهِ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنِ**  
**سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا** الآية. وأنزل الله عز وجل في أوس بن  
قَيْظيَّ وجَبَّارين صخر ومَنْ كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما

صنعوا عما أدخل عليهم شأس بن قيس من أمر الجاهلية: "يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين" إلى قوله: "أولئك لهم عذابٌ عظيم" (1).

فالآيات ترشد إلى عدة نقاط تتعلق بموضوعنا وهي:

أولاً: تقدير الأعداء لمكانة الجماعة والاجتماع، والوحدة والاتحاد، ولهذا يعملون على تفويضها لدى المسلمين، ويسعون في سبيل ذلك سعياً حثيثاً.

ثانياً: أن من وسائل الأعداء الخبيثة والخبيثة في حرب المسلمين؛ ضرب وحدتهم وتفنتيت جماعتهم، وذلك ببعث نوازع الفرقة بينهم؛ من اختلافات دينية أو طائفية أو مذهبية أو عرقية أو قومية أو تاريخية أو غيرها.

ثالثاً: أن الفرقة من دعاوى الجاهلية ومن الكفر، فعبر عن الترابط بالإيمان، وعن الاختلاف بالكفر، وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة" (2).

(1) انظر: تفسير الطبري 6/ 55 رقم الحديث: 7524.

(2) صحيح البخاري 6/ 2521 باب قوله الله تعالى: أن النفس بالنفس والعين بالعين .. الآية المائدة 45 حديث رقم: 6484.

رابعاً: الحذر من تحقيق مقاصد الأعداء في تفريق كلمة المسلمين، فيتم ذلك بأيدي مسلمة، كما قالوا في حكمتهم: الشجرة إنما يقطعها أحد أغصانها، فنكون كالذين يُخربون بيوتهم بأيديهم، وينوبون عن أعدائهم في مهمتهم!

خامساً: أن الاعتصام والاجتماع منة من الله تعالى على عباده تتحقق بطاعته وطاعة رسوله والاستمسك بحبله المتين، وبالأمور بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادساً: النهي عن التشبه بالأمم السابقة في التفرق والاختلاف، وهذا الأمر كثر الحديث عنه في القرآن الكريم.

سابعاً: اختلاف الأجناس والألوان والأوطان واللغات والطبقات والثقافات ليس بالضرورة عامل تفريق وتنازع بقدر ما هو عامل تعارف وتكامل وتكافل وإثراء، فالله لم ينهنا عن الانتساب لقبائلنا وأوطاننا ونحو ذلك، كيف وقد امتن علينا بأن جعلنا شعوباً وقبائل، لتتعرف، وإنما نهانا عن التعصب لها، وأن تكون هي معيار الصواب والخطأ، وأساس الولاء والبراء، وجعل بدلاً من ذلك الإيمان والعمل الصالح: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلَكُمْ قَبَائِلَ وَتُجَارَافَ فَوَارِثَكُمْ رَمَكُمُ عِنَّا ۗ أَلَمْ نَقْضِكُمْ مِنْ أَنْفُسِنَا أَجْرًا وَأَنْ نَضَعُ يَدَنَا عَلَىٰكُمْ وَأَنْ نَسْتَفِيزَكُمْ بِبَيْنَاتٍ مِنْ أَنْفُسِنَا ۗ إِنَّا بِأَعْيُنِنَا قَوْمَكُمُ إِذْ تُخْرِجُونَ﴾ (1).

(1) سورة الحجرات الآية: 13.

ثامنا: من أبشع أنواع الافتراق، الافتراق بعد معرفة الحق، فهذه علامة الهوى، ودلالة العُجب، وشارة البَطَر، وقد كان اختلاف الأمم السابقة وتفرقهم من بعد العلم والبيان، وذلك بسبب طلب البغي والعدوان؛ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ مَا خَلَفَ الذِّبْلُ وَتَوَالَى كِتَابَ إِلَّا مِنْ يَعْدِمَا جَاءَهُمْ عِلْمٌ جُغِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْكَرٌ بَرِيًّا تَلِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَدْرٌ يَلْعُ حَسَابٍ** {1}، **وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ يَعْدِمَا لَجَاءَهُمْ عِلْمٌ جُغِيًّا بَيْنَهُمْ لَوْ لَكَلِمَةٌ تَهْدِيكُمْ مِنْ رَبِّكَ إِلَيَّ لَجَلِّ مَسْمُوعٌ ضِرِّي بَيْنَهُمْ إِنَّ الذِّبْلُ وَرِثُوا كِتَابَ مِنْ يَعْدِمَا لَفِي شِدْكَ مَنْ نَهَرَ يَبٍ** {2}، **وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِمَّا لَمْ يَكُنُوا يَعْلَمُونَ** {3}، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم. وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غاب بشخصه فهو موجود بهديه وسنته.

تاسعا: التنازع يُشغل الأمة بنفسها عن مهمتها الرسالية في الدعوة إلى الخير، (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير..).

وشغل الأمة بنفسها يضعفها ويجعلها مطمعا لأعدائها، قال تعالى: **وَاطْرِبُوا لِلَّهِ وَأَنْتُمْ سَوَاءٌ لَأَنْتُمْ عَوَّلْتُمْ شِدْلًا وَوَأْتَدُّ هَبِيًّا يَحْكُمُ صَدِيرٌ وَأُورِلَ اللَّهُ مَلْعَصَابِرِينَ** {4}. وهذه الآية تأتي ضمن عوامل النصر الحقيقية: من

(1) سورة آل عمران الآية: 19.

(2) سورة الشورى الآية: 14.

(3) سورة الجاثية الآية: 17.

(4) سورة الأنفال الآية: 46.



الإيمان والطاعة أوضدهما.. فإن حدث ما يعكر صفاء هذا التأخي وجب الإسراع إلى إصلاحه ولو بقتال من بغى ﴿إِضْطَائِقَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِتَّخَذُوا وَقَدْ آذَوْا بِالْبُغْيَةِ أَفَأَنْبَغَتُهُمْ جِدَاهُمْ أَعْلَىٰ ذُرَىٰ وَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبِعُوا حَتَّىٰ تَقِيَّءَ إِلَٰهَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ فَاعٍ لِّمَا تَعْمَلُونَ﴾ (1)، إلى هذه الدرجة يكون الحرص على تماسك الصف الإسلامي، وإفيءة الحديثكؤن "هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَدْرَأَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَأَضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَأَنَّهُ مَنْ كَانَ" (2). وفي حديث آخر: "إذا بويغ لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما" (3).

ومنع الإسلام من كل ما من شأنه يؤدي إلى التفرق والتنازع من الشحاء والبغضاء، والتنايز بالألقاب والسخرية واللمز، والغيبة والنميمة، وسوء الظن والتجسس والتحسس، والتدابير، وغير ذلك من المعاني المنمومة والأخلاق المرذولة (4).

وحذر القرآن الكريم من الفرقة، وجعلها من العقوبات القدرية لمن خالف أمر الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ تِلْكَ جُلُكُمُ أَوْ يَسُدَّكُمْ مِّمَّا يَدْعُونَ وَيُغْنِي عَنكُمْ سِجِّينًا أَنْظُرْ كَيْفَ تَصَدَّرُ الْآيَاتِ لَعَلَّ هُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (5).

(1) سورة الحجرات الآية: 9.

(2) صحيح مسلم 22/6 باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، حديث رقم: 4902.

(3) المرجع السابق 23/6 باب إذا بويغ لخليفتين حديث رقم: 4905.

(4) انظر الآيتين 11 و 12 من سورة الحجرات.

(5) سورة الأنعام الآية: 65.

وفي السنة: قال جابر بن سمرة: "خطبنا عمرُ بالجابية فقال: قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه و سلم مقامي فيكم اليومَ ، فقال أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يَلُونَهُمْ، ثم يَفْشُدُو الكذبُ حتى يشهدَ الرجلُ على الشهادة لا يُسأَلُهَا، وحتى يحلفَ على اليمين لا يُسأَلُهَا، فمن أراد بُدْبُوحَةَ الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد"<sup>(1)</sup>.

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ألا أخبركم بأفضلَ من درجةِ الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، فإنَّ فسادَ ذات البين هي الحالقة" ويروى عن النبي صلى الله عليه و سلم "هي الحالقة لا أقول تحلقُ الشعر ولكن تحلقُ الدين"<sup>(2)</sup>.

ومن الحكَم الموروثة قصة الأب الذي بيّن لأبنائه أهمية اتحادهم وخطورة تفرقهم، حيث لم يستطيعوا تفسير العصي مجتمعة، فأنشأ يقول<sup>(3)</sup>:

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى  
خطب ولا تتفرقوا آحاد  
تأبى العصي إذا اجتمعن تكسرا  
وإذا افتقرن تكسرت أفرادا

(1) سنن النسائي الكبرى 5/ 387 حديث رقم 9219، والحديث في صحيح ابن حبان بتحقيق الأرنؤوط 10/ 436، حديث رقم: 4576.

(2) سنن الترمذي 4/ 663 حديث رقم: 2509 وصححه الألباني.

(3) موسوعة الشعر الإسلامي 162/1.

إنَّ أعداء الإسلام يعرفون - وبدقة - مقاتل أمة الإسلام، ومن ذلك ضرب وحدتهم واجتماع كلمتهم، وتصافي قلوبهم، فيعملون على بذر الخلاف بين الأمة، لإضعاف الكلمة وتشتيت الجهود، وكسر الشوكة، وإيهان العزيمة، وهم لا يُلامون على ذلك؛ لأنهم لولم يفعلوه لما كانوا أعداء، فهو شأنهم وما يُتوقع منهم، وينسجم مع أهدافهم من العلو في الأرض والاستكبار فيها بغير الحق. لكن شأننا لآلٍ نعطيهم الفرصة، وأن نسد أمامهم الأبواب، ونردم دونهم الثغرات التي يتسللون من خلالها، فكيف إذا تحول هذا الشأن إهمالاً وعدم مبالاة؟ بل الأدهى أن يُمارس فعلُ الأعداء أبناءَ الجلدة واللسان والدين، فينوبونهم في أداء المهمة، ويحملون عنهم عبء المسؤولية، فيبوؤون بالإثم، ويكتشحون بالعار، وكثيراً ما شمت بنا الأعداء، فلسان حالهم ومقالهم يهرف: أتريدوننا أرحم بكم من بعضكم ببعض؟!..

### المطلب الثالث

#### آثار الافتراق على الأمة

وهي آثار واقعية مأخوذة من تاريخ الأمة ومن حاضرها، وعرضها هنا ربما يساعد في استحضار خطورة الافتراق وشؤم التمزق فتسعى الأمة عبر جميع مؤسساتها لتجنب أسباب التفرق، والعودة إلى أيام الصفاء، بل إلى أيام القوة والعزة والكرامة.. بل إلى أيام الريادة وأستاذية العالم..

فمن هذه الآثار:

[1] الفشل وذهاب القوة: شمولية الفشل لمناحي الحياة، وهذا يعني موت الأمة بأسرها، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بذهاب الريح، حتى تعود الأمة أعداداً بلا عدة، وأرقاماً بلا معنى، وأحجاماً بلا وزن، وهي الحالة العثنائية التي لا تحافظ على موجود ولا تلوي على مطلوب، فتتداعى الأكلة إلى قصعة الأمة، فيطمع فيها كل قوي وضعيف، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

لقد عُرِف الخوارج عبر التاريخ بقوة العزيمة وشدة البطش، وعظيم الإخلاص لأفكارهم والتفاني لها، لكن مع ذلك كان يكثر بينهم الخلاف والنزاع لأتفه الأسباب، وكان هذا من عوامل هزائمهم المتكررة، وقد فطن لذلك المهلب بن أبي صفرة - الذي كان تُرساً للمسلمين منهم - فكان يبعث إليهم من بيت الخلاف بينهم لتفريقهم وإضعافهم، فيُكفى مؤنة حربهم وقتالهم<sup>(1)</sup>.

[2] زعزعة الثقة بالعلماء والحكام والأمة، بل بالإسلام ومناهج العاملين والداعين إليه، فقد جرت عادة الناس في الربط بين الداعي ودعوته نجاحاً وفشلاً. ومن ثم إتاحة الفرصة لظهور تيارات من التشكيك والدعوة للانسلاخ من الدين على نحو ما ظهر في أوروبا المسيحية في مقدمات عصر النهضة، فانظر كم يجني أهل التنازع على الأمة ودينها ورسالتها!

(1) انظر: تاريخ الجدل لأبي زهرة ص: 154، وشرح نهج البلاغة 49/2، والكامل للميرد 277/2 - 279.

لا يكاد يوجد - الآن - في أمتنا من يجتمع عليه الناس؛ سواء شخصية علمية أو قيادية، أو شخصية اعتبارية، من مشاريع الأمة الكبرى؛ مثل مشاريع الجهاد والاقتصاد والتشريع ومشاريع النهضة! ما من ذلك من شيء إلا وله خصومه، المجاهرون بعداوته من الداخل، وهذه الخصومات تلبس - أحيانا - زيَّ الغيرة على الدين؛ ولنا في أفغانستان والعراق وفلسطين والسودان عبرة وأية عبرة، مما أغرى بنا الأعداء.

[3] إتاحة الفرص لاحتواء بعض الرموز أو بعض الجماعات أو بعض الدول من قبل أعداء الأمة والانفراد بها؛ إغراء وإغواء، على نحو ما حدث في محنة كعب بن مالك وقد هجره المسلمون فيمن هجروا من المتخلفين عن غزوة تبوك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضي الله فيه وفي صاحبيه، فكتب إليه - وهو في هذه الحال العصبية، وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه - ملك غسان قائلاً: أما بعد، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. قال كعب: فقلت حين قرأتها، وهذه أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرتها<sup>(1)</sup>.. إنها فتنة وبلاء وابتلاء لا يقوى عليه إلا الموقفون، ومن كان في ثبات كعب بن مالك وإيمانه، وقليل

(1) صحيح مسلم 4/ 2120 باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم: 2769، والحديث في البخاري حديث رقم: 4156.

ماهم. ومن هنا يبرز مغزى قوله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد<sup>(1)</sup>.

[4] انتزاع البركة من الأفراد والجماعة ومن الأمة بأسرها، وتركها لنفسها، تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة، ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار"<sup>(2)</sup>.

[5] التخاذل المتبادل بين أفراد الأمة وجماعاتها ودولها وحكوماتها، وأن يُسلم بعضهم بعضاً إلى الأعداء والفتن، بل والتحرش بهم، وتهيج الأعداء عليهم؛ نكاية ووشاية وشماتة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"<sup>(3)</sup>.

[6] الافتراق والتعادي يؤكد ما يقوله المستشرقون إن العالم الإسلامي لم ينعم بالهدوء إلا صدراً من جيل الخلافة الراشدة، وبعدها تعرضت دولة الإسلام إلى النزاعات والصراعات الداخلية التي لم تنقطع، وربما ربطوا ذلك، ظلماً وزوراً، بطبيعة الدين نفسه، وقد اشتهرت

(1) سنن الترمذي 4/ 465 باب لزوم الجماعة حديث رقم: 2165، قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(2) سنن الترمذي 4/ 466 باب لزوم الجماعة حديث رقم: 2167، وصححه الألباني نون من شذ.

(3) صحيح مسلم 4/ 1996 باب تحريم الظلم حديث رقم: 2580.

صراعاتنا السياسية على كافة المنابر وعلى الملأ حتى شاعت مقولة:  
اتفق العرب على ألا يتفقوا، والعرب رحى الإسلام ومصدر قوته..

[7] الافتراق والتعادي يحرم الأمة من محاسن الاختلاف، وهو ما يعبر عنه باختلاف التنوع، وهو ثروة علمية ضخمة تميز بها التراث الفقهي الإسلامي، تدل على قوة إبداع، وعمق تفكير، وتوفر مساحة واسعة ومتنوعة من الآراء والاجتهادات تستفيد منها الأمة في مواجهة مستجدات الحياة المعاصرة، وتنوعها، وتفاوتها من بلد إلى بلد، ومن بيئة إلى بيئة، ولقد اشتهر عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله: "ما يسرني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لكان الناس في شدة، فلما اختلفوا كان الناس في سعة"<sup>(1)</sup>.

[8] التنازع والتفرق يصيب البعض بالإحباط والتثبيط فينزوي بعيداً، وينكفي على نفسه مؤثراً السلامة كما تزيّن له نفسه، فتُحرم الأمة من خيره وجهده وإضافاته، وربما كان أسوة سيئة، ونموذجاً سلبياً لغيره، فيقوى تيار الانعزال والانزواء، فتجمد حركة الأمة، ويضعف رصيدها في مجال الإبداع والتقدم.

[9] لولا التنازع والتمزق لما تسنى لأحد أن يملي على الأمة ويفرض عليها خيارات تخالف دينها ومصالحها ومستقبلها، لكن ما حيلة الضعيف إلا أن يخضع لإرادة الأقوياء، ومن خلال ذلك مُررت ما يسمى

(1) جامع بيان العلم لابن عبد البر 2/ 80.

بمشاريع التسوية الظالمة والهاضمة للحقوق في فلسطين والبوسنة والعراق والسودان وغيرها، فتقدم التنازلات، وتنتزع الاعترافات، بل وأحياناً تقدم المبادرات والتبرعات لاسترضاء العدو الغاشم، أو للحصول على صك البراءة من تهمة الإرهاب ونحوه، ولسان الحال يقول<sup>(1)</sup>:

فليتك تحلو والحياة مريرة  
وليت الذي بيني وبينك عامر  
وليتك ترضى والأنام غضاب  
وبيني وبين العالمين خراب  
إذا صح منك الود فالكل هين  
وكل الذي فوق التراب تراب

[10] التنازع والتفرق يُشغل الأمة عن همومها العظام، وتحدياتها الجسام، وتستمرئ الأمة حرباً طاحنة فيما بينها، حتى يأكل بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً، كان الأولى أن توجه هذه الجهود وهذه الطاقات نحو البناء والتنمية ومواجهة الأعداء الذين يدورون حول الأسوار ويلوذون بالأبواب؛ يتحينون الفرص، ويرقبون الصيد، عسى أن يفوزوا منه بغفلة..

فمن الخيانة للأمة أن يُحمى الوطيس، وئذ نصب المناجيق، ويتقاذف الناس بكلمات هي أشد من الحجارة، وأنكى من السهام من أجل مسائل تحتمل أكثر من وجه وتقبل أكثر من تفسير، فهي من مسائل الاجتهاد، التي دلت على سعة هذا الدين ومرونته، المصيب فيها مأجور والمخطئ فيها معذور، وخطؤه فيها مغفور، بل هو - بنص الحديث - مأجور.

(1) يتمية الدهر للثعالبي 1/ 21.

لهذا كان من الواجب على الدعاة والمفكرين الإسلاميين أن يشغلوا جماهير المسلمين بهموم أمتهم الكبرى، ويلفتوا أنظارهم وعقولهم وقلوبهم إلى ضرورة التركيز عليها والتنبيه لها، والسعي الجاد ليحمل كل فرد جزءاً منها، وبذلك يتوزع العبء الثقيل على العدد الكبير، فيسهل القيام به<sup>(1)</sup>.

[11] التنازع والتفرق يُفقد الناس والأمة الشعور بوحدة الجسد ووحدة الهم ووحدة المصير، مما يحدو بكل طائفة أن تتصرف بمفردها بمعزل عن الأمة، وربما أدى ذلك التصرف الانفرادي إلى مأس تعود على الأمة جميعها بآثارها وتبعاتها.. وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك أروع المثل ومَوْثِقُهُ: **«الْقَالِمُ»** "عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْأَوْاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ فَكَانَ الَّذِينَ سَفِيحًا لَهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ لَوْ خَرَقْنَا فِي فِطْحَانٍ خَرَقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذْنَاهُمْ نَجْوًا وَنَجَّوْا جَمِيعًا"<sup>(2)</sup>.

[12] إشاعة روح التفرق والتمزق، وبروز المزيد من النحل والطوائف المتناحرة، بل جرت العادة أن التيار الواحد ينقسم على نفسه مرات ومرات، حتى خرج تعدادها عن المألوف وتجاوزت المعروف، وبعضها يقوم وليس له من مبرر؛ فإن اختلف ثلاثة مع جماعة شكلوا

(1) انظر: الصوحة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم للدكتور يوسف القرضاوي ص: 84 .85

(2) صحيح البخاري 6/ 322 باب الطيب للجمعة حديث رقم: 2493.

جماعة أخرى، وإذا فصل خمسة من تنظيم انشؤوا وتنظيماً جديداً، وإن طردت مجموعة من حركة كونت حركة تصحيحية!

كان لتعدد الطوائف في الماضي مبررات، قد تكون محل نظر، وقد يكون لأصحابها أدلة شرعية معتبرة، واجتهادات مبررة، ومع هذا فقد كان هؤلاء متخلفين بأدب الخلاف وقيمه لا يخرجون عنها، أما اليوم فقد بات الخلاف خلافاً بلا أدب، واختلافاً بلا علم، وتكاثراً بلا مبرر، إنما هو التنافس على المغانم، والتنصل والهروب من المغارم، والتهافت على الدعاية والأضواء، والإقبال على الأخذ، والإدبار عن العطاء<sup>(1)</sup>.

فيتهاون الجميع بمخاطر التفرق، بعد أن يكون قد ركبهم الهوى واستبد بهم الغرور وأعماهم حب الذات، لا يعظمون حرمة، ولا يرقبون في أمتهم إلاً ولا ذمة.

وهناك آثار أخرى أجملها في النقاط التالية:

- تعميق الغرور والإعجاب بالرأي.
- تعميق الهوى.
- سوء الظن بالآخرين، واتهام النوايا.
- العصبية للرأي والزعيم والإقليم والحزب.

(1) انظر: الإيدز الحركي لفتحي يكن ص: 25 - 26.

- تناكر القلوب واحتقان النفوس بالبعضاء.
- الانشغال عن معالي الأمور ومتطلبات الريادة والسيادة.
- تتبع عثرات الآخرين.
- ضياع كثير من الواجبات الدينية.
- صد الناس عن سبيل الهدى.
- تثبيط العزائم.
- انتشار حالات الانزواء الفردي والجماعي بين الأمة طلباً للسلامة ومن ثم حرمان المجتمع من مشاركتهم في الخير والإصلاح.

### المطلب الرابع

#### موقف الأمة من قدر التفرق<sup>(1)</sup>

قد يتصور بعض الناس أن تفرق الأمة أمر لازم فرضه القدر وأخبر به الشرع، فلا مناص منه، ولا مهرب منه، وربما استدلوا على ذلك بالأحاديث التي فيها الإخبار بوقوع البأس بين الأمة، مثل حديث: "سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا

(1) انظر: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والاختلاف المذموم ص: 30 وما بعدها.

يُهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يُهلك أمتي بالغرق فأعطانيها،  
وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"<sup>(1)</sup>.

وفي حديث آخر: "سألت ربي عز وجل ثلاث خصال، فأعطاني  
اثنتين، ومنعني واحدة. سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به  
الأمم قبلنا، فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدوا من  
غيرنا، فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل أن لا يلبسنا شيعاً فمنعنيها"<sup>(2)</sup>.

فإن كان الله قد ضمن للأمة عدم الاستئصال بالكوارث الطبيعية، أو  
بالعدوان الخارجي، إلا أنه لم يضمن لها عدم الاستئصال بواسطة أنفسهم،  
وهو ما عبر عنه بالباس الشديد بين أطراف الأمة، حتى يكون بعضها  
يُهلك بعضها، ويُسبي بعضها بعضاً.

والجواب أن يقال: إن الله علّق عصمة الأمة من الاستئصال  
الداخلي بالاستجابة لأمره والالتزام بشرعه، فأمرها بيدها إن هي أرادت  
العصمة، متعلق بها، عليها أن تؤدي شرطه؛ وهو الالتزام بالدين،  
والاعتصام بالوحدة والاجتماع، فإن فعلت ذلك عزّت وسادت وانتصرت  
على عدوها، وإن أهملت ذلك الالتزام وذلك الاعتصام ذاقت وبال أمرها،  
وكانت هي السبب في هذه العقوبة..

(1) صحيح مسلم 2216/4 باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض حديث رقم: 2890.

(2) سنن النسائي 3/ 216 باب إحياء الليل حديث رقم: 1638. وصححه الألباني.

فالحديث لا يعني بحال أن يكون تفرق الأمة وتسلط بعضها على بعض أمراً لازماً ودائماً وعماماً، يشمل كل الأزمنة وكل الأمكنة، وكل الأحوال، وإلا لم يكن هناك معنى لنصوص الأمر بالاعتصام والاجتماع والنهي عن التفرق والاختلاف، وما أكثرها! وكان ذلك في حكم تكليف ما لا يطاق، وهو من العبث الذي تُنزه عنه شريعة الإسلام، بل وأحكام العقلاء..

فهذا الداء الذي تصاب به الأمة بسبب تفرقتها في الالتزام والاعتصام قد يحدث في مكان دون مكان، وفي زمان دون زمان، وبين قوم معينين دون غيرهم..

وفي بعض الأحاديث ما يؤكد أن جعل بأس الأمة بينها يكون عقوبة من الله لها على انحرافها عن شرعه، كما في حديث ابن عمر مرفوعاً: "وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"<sup>(1)</sup>.

كما أن أحاديث أخرى بشّرت بغلبة الأمة وعلوّ كلمتها وبسط سلطانها، وأنه سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، وستفتح رومية، ولا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين.. فهذا الفتح حينما يستقيم أمر الأمة، وتلك العقوبة والانهيار حينما تنحرف الأمة.. فكل أسبابه ودواعيه، والحبل بيد الأمة إن شاءت شدّته، وإن شاء أرخته، أو تركته.. ﴿وَلِئَلَّا يَتَّخِذَ الَّذِينَ كَفَرُوا دِينَكُمْ دِينًا وَالصَّالِحِينَ يَنظُرُونَ إِلَيْهِمْ الْقُرْآنَ﴾

(1) سنن ابن ماجه 2/ 1332 باب العقوبات حديث رقم: 4019، وحسنه الألباني.

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لِيُمْكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ لِيُبْدِلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ  
خَوْفِهِمْ مَّنَا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكْ كُفْرًا بِرِيثِيْنًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ لَقَأُ وِلْدَانَهُمْ  
الْفَاسِقُونَ }<sup>(1)</sup>، الَّذِينَ إِذْ كَذَّبْنَا لَهُمُ الْغَايَةَ رِضًا أَقَامُوا الصَّلَاةَ قَوَّاتُوا الزَّكَاةَ  
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ لِمَنْ كَرِهَ اللَّهُ عَاقِبَتُهُمْ مُؤَرِّقِينَ }<sup>(2)</sup>.

(1) سورة النور الآية: 55.

(2) سورة الحج الآية: 41.

## الخاتمة:

لقد اتضح مما سبق بيان:

[1] عناية الإسلام بتماسك الأمة وحثه على ذلك، بل شرع من الأحكام في باب العقائد والعبادات والنظم والأخلاق ما يضمن تحقيق هذا التماسك، ويحمي من دواعي الفرقة والتمزق.

[2] نهى الإسلام المشدد على الفرقة، وتصويره لها بأبشع الصور، إذ هي الحالقة للدين، وإذا ذهب الدين فقد فقدت الأمة رأس مالها.

[3] أن الفرقة ضياع لقوة الأمة وتناصرها مما يُطمع الأعداء بها، والتاريخ خير شاهد على ذلك، بل واقع الأمة اليوم يؤكد هذا المعنى، بعد أن نجح العدو في تمزيقها إلى قطع متناحرة، يسعى بعضها في إفناء بعض، بل ويستعين بالعدو المجمع على عدواته في تحقيق هذا الغرض.

[4] أن الفرقة وإن كانت قدرا، فذلك بسبب التفريط في أسباب الاجتماع، والتحلل من تعاليم الشرع، والقدر ينازع بالقدر، فالقدر الكوني ينازع بالقدر الشوعي، وهو المطلوب من الأمة فعله، فإن الله تعبدنا بالشرع، ولم يتعبدنا بالقدر، فليس لأحد أن يحتج به، وقديما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للسارق المحتج بالقدر: أنت سرقت بقضاء الله وقدره ونحن نقطع يدك بقضاء الله وقدره<sup>(1)</sup>.

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص: 145.

[5] أن دواعي الاتفاق والاجتماع لدينا أكثر وأعمق مما عند غيرنا من الأمم والحضارات، ومع ذلك اجتمعوا وافترقنا، وتضامنوا وتنازعنا، وتناسوا ما كان بينهم، ونحن نحرص على بعثه وإثارته وتحريك الصدور به.. فما زادنا ذلك إلا فشلاً وذهاب ريح..

فهل نعتبر؛ فنلتزم بتعاليم ديننا، ونستصحب قيم أسلافنا، ونستحضر ما نواجهه من تحديات ماثلة، توشك أن تأتي على كل شيء؟

الله نسأل الإخلاص في القصد، والسداد في القول، والرشاد في العمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً..

### ثبت بالمراجع:

- [1] احذروا الإيدز الحركي لفتحي يكن، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م، بيروت.
- [2] تاريخ الجدل لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، مطابع الدجوي، الطبعة الثانية 1980م، القاهرة.
- [3] تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل أي القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة 1420هـ/ 2000م بيروت.
- [4] جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الفكر، بيروت.
- [5] سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت.
- [6] سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- [7] سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- [8] سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1411هـ/ 1991م بيروت.
- [9] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة، 1391هـ بيروت.
- [10] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق: الشيخ حسن تميم، دار مكتبة الحياة، 1963م، بيروت.
- [11] شعب الإيمان لأبي أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1410هـ بيروت
- [12] الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم للدكتور يوسف القرضاوي
- [13] صحيح ابن حبان تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1414هـ/ 1993م بيروت.
- [14] صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422هـ.
- [15] صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[16] الصواعق المرسلّة على الجهميّة والمعلّلة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزيّة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الطبعة الأولى 1408هـ الرياض.

[17] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، مؤسسة المعارف، بيروت.

[18] مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1420هـ/ 1990م.

[19] موسوعة الشعر الإسلامي، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، المكتب الشاملة، ملف الكتروني.

[20] يتمية الدهر للثعالبي، موقع الوراق الالكتروني  
<http://www.alwarraq.com>